

الخطبة التاسعة والثمانون نواقض الإسلام - الأمور المترتبة من الملة - والعياذ بالله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

إن هذا البحث مهم جداً وذلك لمعرفة ما يُخرج من الملة وكيف يكون وضعه لو مات على هذا والعياذ بالله، وهذا البحث من الأمور الهامة جداً أن يتعلمها الإنسان ويعلمها زوجته وأولاده وإخوانه.

أبدأ بالاستعانة بالله تعالى، ثم التوكل على الله سبحانه وتعالى، ثم التبرؤ إلى الله تعالى من كل خطأ أو زلل نتيجة جهلي وتقصيري، فما كان من خير وصواب فهو من توفيق الله تعالى، وما كان من خطأ أو زلل أو انحراف والعياذ بالله فمني ومن جهلي.

أولاً - الشرك بالله تعالى: وأقصد الشرك الأكبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 4 / 48]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 5 / 72]، والشرك الأكبر أنواع:

1. أن تأخذ خاصية من خصائص الله سبحانه وتعالى، وتعطيها لأحد من البشر، أو تشارك بها أحداً من البشر، وخصائص الله سبحانه مبينة في أسمائه وصفاته.

2. أن تأخذ خاصية من خواص البشر وتنسبها إلى الله تعالى أو تصفه بها والعياذ بالله.

3. أن تصف الله سبحانه بصفة من صفات الضعف أو الحاجة أو المعونة والعياذ بالله.

4. ومن الشرك أن تعطل صفة من صفات الله تعالى أو تلغيها أو تنفيها أو تحددها.

5. ومن الشرك أيضاً شرك الحلول أو الاتحاد كأن تقول: إن الله حلّ أو اتحد في عيسى عليه السلام، أو في أحد من أوليائه.

6. ومن الشرك الأكبر أن تتألى على الله أو أن تفرض عليه أمراً أو أن تلزمه بأمر والعياذ بالله أو تقضي عنه قضاءً أو تحكم عنه حكماً.

ثانياً - أن تجعل بينك وبين الله وسائط تعتمد عليهم في نفع أو ضرر: وهذا

أيضاً باب من أبواب الشرك؛ لأن الدعاء عبادة والعبادة لله تعالى فقط، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١) ﴿يس: 36 / 61﴾، ولذلك قال تعالى في ذم من

يضع وسائط بينه وبين الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 10 / 18]، وقوله تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 39 / 3]، وقد اجتمعت بأحدهم ممن يجعلون وسائط

مع الله تعالى، فقلت له: إن هذا شرك! فقال: يا عبد الله هل تستطيع أن تلمس تياراً كهربائياً عالياً في تياره وتوتره؟ قلت: لا. فقال: لكنك إذا وضعت محولاً يخفض

التيار والتوتر فيمكنك أن تلمسه ولا تموت، فالله سبحانه - والعياذ بالله من التشبيه -

كتيار عالٍ جداً لا تستطيع أن تصل إليه، لذلك تضع وسائط بينك وبينه يوصلك

إليه. أعوذ بالله من هذا الشرك، وهذا كله ضلال في ضلال، فالله أمرنا بأن ندعوه

ونعبده ونتقرب إليه بدون وسائط هذا أمره سبحانه وتعالى، وأقرب ما يكون العبد

من ربه وهو ساجد، وفي الثلث الأخير يقول سبحانه: هل من مستغفر فأغفر له، هل

من داع فأستجيب له، بدون واسطة، ثم هذا الوسطة أين الدليل عليه؟ ومن أعطاه

القوة وسخره؟ ولم لم يخبرنا رسول الله ﷺ عن هذه الوسطة؟ ولماذا لا يكون هو

الوسطة؟ فهو عليه الصلاة والسلام أتقانا لله وأخشاننا لله وأعلمنا بالله، فهل قال:

ادعوني، وتوسلوا بي، وتقربوا بي إلى الله؟ أم قال ما قاله الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 40 / 60].

ثالثاً - من لم يعتقد كفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح ملتهم فقد كفر:

لأن الله سبحانه قد قرر أن الإيمان والتمسك بلا إله إلا الله محمد رسول الله، لا يتم إلا بأمرين، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: 2 / 256]، لا بد من تكفير الكفر والشرك، وكيف يصح إيمان وأن تؤمن بصحة نقيضه؟! لا يمكن!

رابعاً - من اعتقد أن هناك هدياً أكمل وأحسن من هدي النبي عليه الصلاة والسلام: أي من اعتقد أن هناك أنظمة وقوانين وتشريع أكمل وأحسن من النظام أو القانون أو التشريع الإسلامي، كما يفعل اليوم البعض، من تحريف نصوص الشريعة في الميراث، وفي الحجاب، وفي ربا البنوك، وفي الخمر وفي المعاملات، هؤلاء إن اعتقدوا أن هناك هدي أو تشريع خير من هدي رسول الله ﷺ أو أحسن أو أكمل أو يتمشى مع متطلبات العصر، فقد كفر إجماعاً. أو اعتقد أن قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن بربرية ورجعية فقد كفر إجماعاً، إذا كان عالماً بالحكم وأقيمت الحجة عليه.

خامساً - من أبغض أو كره حكماً شرعياً ثابتاً بالنصوص والإجماع: لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩١﴾﴾ [محمد: 47 / 9]، أحبط أعمالهم أي: خسروها كلها وماتوا على هذه الكراهية؛ أي: لم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الله، فهؤلاء مخلدون في جهنم؛ لأنهم ماتوا على الكفر وكراهية وبغض ما أنزل الله وشرعه والعياذ بالله.

سادساً - الاستهزاء بأمر من أوامر الدين الثابتة أو الاستهزاء بالقرآن أو بآية منه أو الاستهزاء بأمر مما أمر به رسول الله ﷺ أو الاستهزاء بثواب أو عقاب ثبت في القرآن أو في السنة: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْدِيَّ وَأَيْدِيكُمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذَرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: 9 / 65-66]، الأصل في الإيمان تعظيم الله تعالى، وتعظيم دينه، وتعظيم رسوله عليه الصلاة والسلام، التعظيم والإجلال والمحبة والإخلاص والتصديق والطاعة، والدفاع عن الشريعة،

والموت في سبيلها والدعوة إليها هي الفاصل بين الولاء والبراء، فأى استهزاء وأي تعريض وتقيص وقلة احترام واستهزاء هو طعن في هذا الأصل وإبطال له، ونقض له، وسب الدين، وسب الرسول عليه الصلاة والسلام كفر وردة.

سابعاً - مساندة المشركين ومعاونتهم ونصرتهم ضد الإسلام والمسلمين

كفر وردة: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 5 / 51]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 9 / 23]، وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفْرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: 3 / 28]، فمعاونة المشركين لإنزال الهزيمة وقتل الأرواح وأخذ الأراضي والممتلكات الإسلامية كفر وردة بإجماع المسلمين، لقوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: 5 / 80]، فهل بعد قوله تعالى هذا شك أو تردد؟ فهذا بيان رباني واضح وفي العذاب هم خالدون، والخلود في النار لا يكون إلا للكفرة وهذا الفهم متفق عليه.

ثامناً - لا يحق لأحد الخروج عن الشريعة وقوانينها الثابتة بالقرآن والسنة

الصحيحة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 3 / 85]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 3 / 86]، ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنَّنَا عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: 3 / 87]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: 3 / 88].

تاسعاً - الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به: قال تعالى: ﴿وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 32 / 22]، وهذا اسمه: كفر الإعراض، لا يسمع ولا يهتم ولا يبحث ولا يصدق ولا يكذب ولا يطيع ولا يوالي ولا يعادي ولا يخاف ولا يرغب ولا يهتمه أي أمر من أمور الدين، فهذا كفر الإعراض إذا كان عقيدة وسلوكاً، فهذا مخرج من الملة اتفاقاً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلِثَمِ بَلِّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعُقَلُوبُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 7 / 179]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْدَتْنَا فَتَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: 20 / 124-126].

عاشراً - التالي على الله سبحانه وتعالى: عن جندب البجلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك» رواه مسلم.

وعن قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أحدثكم حديث رجلين من بني إسرائيل؟ كان أحدهما يسرف على نفسه، وكان الآخر يراه بنو إسرائيل أنه أفضلهم في الدين، والعلم، والخلق، فذكر عنده صاحبه فقال: لن يغفر الله له، فقال الله لملائكته: ألم يعلم أني أرحم الراحمين؟ ألم يعلم أن رحمتي سبقت غضبي؟ فإني أوجبت لهذا الرحمة، وأوجبت على هذا العذاب، فلا تتألوا على الله» الحلية لأبي نعيم، وابن عساكر.

هذه العشرة أمور اتفق العلماء على أن فاعلها يخرج من الملة إذا كان عالمًا بها، والأصل المعتمد أن لا نخرج أحد من الملة إلا بعد إقامة الحجة عليه وتبيان الأصل الشرعي، وأيضاً من الأصول المعتمدة أننا نكفر الفعل ولا نكفر الفاعل، وأننا نلعن الفعل ولا نلعن الفاعل. فمثلاً عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الخمر، وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها» رواه أبو داود - صحيح الجامع (5091)، فمثلاً نقول: لعن الله شارب الخمر، ولا نقول: لعن الله فلان ونسميه - للذي يشرب الخمر -، هذه قواعد شرعية يجب مراعاتها، وكذلك لا نكفر فاعل الكفر ولكن نكفر فعل الكفر، فعن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: (لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن

الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى مُحَدِّثًا، ولعن الله من غير منار الأرض) مسلم، (مُحَدِّثًا) أي: مغيراً في الدين وصاحب بدع وضلال، أو مجرمًا يفسد في الأرض ويفجر، (منار الأرض) أي: حدودها وعلاماتها فيقتطع من حق جاره ومن أرضه حتى يضمها إلى أرضه.

وهذه الأمور المخرجة من الملة يلزمها توبة وعزم وتصميم وتصحيح، ثم بعد التوبة إعادة التلفظ بالشهادة، والاعتسال والندم على ما فعل والاستغفار الكثير، وقد فشلت عادات سيئة بين الناس كالنكات السيئة المخلة بالأدب مع الدين والمتدينين، أو الاستهزاء بالشرعية وقوانينها، أو الاستهزاء بالشعائر الدينية أو بالنصوص الدينية فهذا كله جريمة كبرى قد تخرج صاحبها من الملة، أو سب الدين، أو سب الرب أو سب النبي والعياذ بالله من كل هذا، أو رفض وردّ الأحكام الشرعية، كمن يقول: بأن الربا حلال، أو الخمر حلال، أو الزنا حلال، أو أي شيء من الشريعة متفق على حرمة، فهذا خروج من الملة إذا كان عالمًا بحكم الشريعة.

اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وثبت قلبي على طاعتك. اللهم آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

